التعليل الصوتي لصفات الحروف العربية

Phonetic interpretation of the characteristics of Arabic letters

د.قرل عبدالمالك*، د.بونيف أحمد[2]

[1]المركز الجامعي (البيض)، mgrele333@gmail.com

[2] المركز الجامعي (البيض)، brahimsidamar@gmail.com

تاريخ الإيداع: 2021/09/01 **تاريخ المراجعة**: 2021/10/08 **تاريخ النشر**: 2021/12/30

ملخص:

إنّ الأصوات إذا تضامّت إلى بعضها شكلت مفردات، وإنّ هذا التشكيل و التأليف إنما يحصل نتيجة نسق معين، فلهذا يقال إنّ الصوت هو آلة اللفظ، و الجوهر الذي يقوم به التقطيع، و به يوجد التأليف، و لن تكون حركات اللسان لفظاً و لا كلاماً موزوناً، و لا منثوراً إلا بظهور الصوت، و لا تكون الحروف كلاماً إلا بالتقطيع و التأليف، فنؤثر السجع في المنثور أحيانا، وأحيانا أخرى نلزم أنفسنا القوافي و إقامة الوزن، ذاك أننا نبتغي من وراء كلامنا حصول الفائدة لدى الغائب و الحاضر و الراهن و الغابر، فتبدو علامات الأثر الجميل تحصل في نفس المتلقي وكل ذلك حاصل من بعد التحكم الجيد في موقعيات الحروف و الأصوات و أجراسها .

من خلال هذه االبحث سنحاول الإجابة عن التساؤلات التالية :ما أهم الكيفيات العارضة للأصوات عند خروجها من موقعياتها؟،ثم ما انقساماتها وما أهميتها ؟ما دام أن حدود الحروف العربية وصفاتها باتت معروفة لدى العام و الخاص، ثم ما ملامح التعليل الصوتي لهذه العوارض و الكيفيات ؟

الكلمات المفتاحية: المخارج، الأصوات، الحروف، التأليف، الجوهر .

Abstract:

Sounds, if combined with each other, form and compose vocabulary. This formation and composition take place as a result of a specific arrangement. In this sense, the sound is the instrument of articulation, the essence that the fragmentation performs, and because of it composition takes place. The movements of the tongue will not be verbal or measured speech, or prose except by the appearance of the sound. Besides, letters do not form words except by dividing and composing, so that we affect the rhyme in prose sometimes and, at other times, we commit ourselves to rhymes and establish rhythm. That is because we seek to obtain benefit at the absent, present, current and past. Therefore, the signs of the beautiful impact appear in the recipient's soul, and all of this happens due to the good command over the location of

* المؤلف المراسل.

letters , sounds and their rhyme. This article aims to answer the following questions: What are the most important types of sounds when they leave their locations? Then, what are their divisions and importance? As long as the limits of the Arabic letters and their characteristics have become known to the public and the private, then what are the features of the phonetic explanation for these supervenients and qualities?

Keywords: *exits, sounds, letters, composition, essence.*

تقديم: إذا كان توجه الفلاسفة و الأصوليين يختلف عن مظانّ اللغويين، فإنه حري بنا أن نتتبع أثر التعليل النحوي أو الصوتي عند مختصّيه من لغويين و نحاة، لأن العلّة عند الفقهاء ليست موجبة للحكم إنما هي دليل عليه[1]، أما النحاة فيستنبطون عللهم بالاستقراء من كلام العرب وقياس بعضه على بعض متجشمين في ذلك عناء البحث و الجمع و التحرّي و التدقيق وفق معطيات الحسّ والمشاهدة[2]. بدليل أنه "شاء للدّرس العربيّ أن يتأسّس كغيره على مبادئ النّظر وأسس التّبرير، وتميّز علماؤه بأنّهم معلّلون "[3] لأنّ اللغة مرتبطة بالفكر، والفكر متّصل بالواقع، والواقع يقوم على التّقنيين والتقعيد، لأنّ أساسه الانتظام، وفي هذه المتواليات يتأكّد أنّ العلوم لا تقبل إلا البراهين والحجج ،"ولن تستقيم النتائج دون استقامة الدّليل"[4]، أيّ أنّ الأسلوب الذهنيّ أصبح ملجأ النحاة ومقصدهم حتى يتمكّنوا من تفسير الظواهر الخفيّة، والتدليل على ما يتحكم في ضروب المعطيات اللغويّة من تناسق وانسجام.

في ضوء ما سبق نستوقف أفكارنا البحثية عند المحطات التالية :

1 ـ الصفة مفهومها و تعليلها و انقساماتها : (الصفات الأساسية،فالثانوية ،ثم التمييزية)

2 ـ تعليل الصوتي للصفات و انقساماتها .

أولا ـ تعليل الصّفــات:

الصفة مفردة تلحق الموصوف، والصفات فروع في أصلها يتفرع عنها غيرها[5]، أي أن الصفة لا يتصف بها الموصوف إلا بعد أن يوجد، فتكون لاحقة لوجوده، والصفات في أنفسها منها الأصلي ومنها الفرعي، وإذا كانت في أصلها مجرد نفس صاعد من الرئتين تحول بفعل الوترين الصوتيين إلى صوت، فالنفس أصل و الصوت فرع[6]، والصفات أساسية، و ثانوية، وتمييزية، قد جرت العادة في كثير من الدراسات أن يجري التصنيف على أساس الصفات المتقابلة، و التي لا مقابل لها أو الأحادية خاصة الدرس الصوتي القديم، لأن السبيل المتاح آنذاك هو الجانب النطقي على عكس ما توفر من جوانب الكشف الصوتية الحديثة.

مما يظهر البحث و يقربه في كثير من المواضع ظهور التقابلات، و الضدّ يظهر حسنه الضدّ، حيث جرت العادة في كثير من الدراسات على تصنيف الصفات الأصواتية في ضوء الصفات التي لها مقابل، و الصفات التي ليس لها مقابل، أو المفردة، لأن الدراسات الصوتية القديمة كما أشرنا سابقا مبنية على أساس الجانب النطقي، بوصفه الوسيلة الوحيدة المتاحة آنذاك، على غير الحالة التي توفرت للمتأخرين من أجهزة و برامج حاسوبية، الأمر الذي من شأنه الكشف عن جوانب أخرى فيزيائية،كالطاقة، وغيرها،و قبل البدء بتعليل الصفات، فلا ضير أن نستأنس بالجداول التالية:

ثانيا ـ جدول الصفات الأساسية :[7]

الرقم	الصفات	أصواتها	نسبتها	رتبتها
01	الجهر	19	65,51%	01
02	الهمس	10	34,48%	03
المجموع	02	29	99,99%	01

ثالثا ـ جدول الصفات الثانوية[8] **:**

الرقم	الصفات الصوتية	عدد أصواتها	نسبتها	ترتيبها
01	الشدة	08	27,58%	02
02	الرخاوة	13	44,82%	01
03	التوسط	08	27,58%	02
المجموع		29	99,98%	03

رابعا ـ جدول الصفات التمييزية :[9]

الرقم	الصفات الصوتية	عدد أصواتها	نسبتها	ترتيبها
01	الاستفال	26	89,65%	01
02	الانفتاح	25	86,20%	02
03	الإصمات	23	79,31%	03
04	الذلاقة	06	20,86%	05
05	القلقلة	05	17,24%	06
06	الإطباق	04	12,79%	07
07	الاستعلاء	07	24,13%	04
08	الصفير	03	10,34%	08
09	اللين	02	06,89%	09
الاستطالة، التفشي، الانحراف، التكرار، الهاوي :صفات أحادية				

ملحوظة: سأحاول قراءة معطيات هذه الجداول من خلال التطرق لتعليل الصفات.

1- تعليل الجهر والهمس:

عرّف ابن جني كلا من الجهر والهمس بقوله: "فمعنى المجهور أنه حرف أشبه الاعتماد في موضعه، ومنع النفس أن يجري معه حتى ينقضي الاعتماد، ويجري الصوت، غير أن الميم والنون من جملة المجهورة قد يعتمد لهما في الفمّ والخياشيم فتصير فيها غنّة، فهذه صفة الجهورة"[10]،" وأما المهموس، فحرف أضعف الاعتماد في موضعه حتى جرى معه النّفس وأنت تعتبر ذلك بأنه يمكنك تكرير الحرف مع جري الصوت نحو: سسس، ككككك، هههه، ولو تكلفت مثل ذلك في المجهور لما أمكنك "[11].

مما لاشك فيه أن ابن جنّي في أغلب تعليلاته إن لم نقل كلها يجاري سيبويه، وسيبويه على هذه الحال تبعه من الأوائل غير واحد في هذا التعريف، نذكر منهم: الزجاجي[12]، ابن سنان الخفاجي [13] الزمخشري[14]، وابن يعيش[15]، والتعريف هذا وإن شاع بين أغلب الأصواتيين، ففي هذا الأمر ما يثبت حسن ظنهم بسيبويه، ذاك أنه مقبول عقلا، و منطقا إن جاز لنا النزول بالرأي عند ذلك .

لقد صاغ الأوائل الصفات، إما على أساس سمعي حين لاحظوا أن الأثر السمعي هو الطاغي، أو على أساس نطقي حين لاحظوا أن الحركة العضوية هي البارزة، فجاءت الروايات في ذلك .

غير الرواية السابقة و الوحيدة لا توجد رواية أخرى عن الجهر والهمس، والتي نقلها ابن جني عن سيبويه باستثناء رواية أخرى أوردها إبراهيم أنيس[16]، وهي منسوبة لأبي الحسن الأخفش، قال:" سألت سيبويه عن الفصل بين المجهر و المهموس فقال: المهموس إذا أخفيته، ثم كررته أمكنك ذلك، وأما المجهور فلا يمكنك ذلك فيه"[17]، ثم يواصل الحديث واصفا المواقف دون تحديد لآلية التكرير فيقول: "ثم كرر سيبويه التاء بلسانه وأخفى فقال: ألا ترى كيف يمكن، وكرر الطاء والدال وهما من مخرج التاء، فلم يمكن، وأحسبه ذكر ذلك عن الخليل"[18]، وقال سيبويه: "إنما فرق ما بين المجهور والمهموس أنك لا تصل إلى تبيين المجهور إلاّ أن تدخله الصوت الذي يخرج من الصدر، فالمهجورة كلها هكذا يخرج صوتهن من الصدر ، ويجري في الحلق، غير أن الميم والنون يخرج أصواتهما من الصدر، ويجري في الصدر والخيشوم غنّة تخالط ما جرى في الحلق، والدليل على ذلك أنك لو أمسكت بأنفك ثم تكلمت بهما رأيت ذلك قد أخل بهما "[19]، ثم يشفع ذلك بالحديث عن المهموسة، و مستعملا عبارات هي من الدّقة بمكان، حيث لو حاولنا تغيير مثلا مصطلح "يزجي"، فقد نخلّ بالمعنى المقصود، فيقول: " أما المهموسة فتخرج أصواتها من مخارجها، وذلك مما يزجي الصوت، ولم يعتمد عليه فيها كاعتمادهم في المجهور، فأخرج الصوت من الفم ضعيفا "[20]، ويستوضح بالدليل على ذلك فيقول: "والدليل على ذلك أنك إذا أخفيت همست بهذه الحروف، ولا تصل إلى ذلك في المجهور، فإذا قلت شخص فإن الذي أجزى هذه الحروف صوت الفم ولكنك تتبع صوت الصدر هذه الحروف بعدما يزجيها صوت الفم ليبلغ ويفهم الصوت "[21].

انتهت الرواية التي أوردها صاحبها، ونحن لن نناقش مسألة محفوظيتها أو خلوها من التصحيف، لكن نأخذها على ظاهرها كنص تضمن آراء قربت من الرواية الأصلية الواردة في الكتاب" [22] والذي ذهب إليه الباحث أنه أنكر على سيبويه عدم معرفته بوجود ذبذبات مع المهموس، وأن هذه الموجات تضخمها الفراغات الرنانة في الحلق والفم[23]، أي أن المجهورة مصدرها الحنجرة، والمهموسة مصدر ذبذباتها في الحلق والفم، والذي يبدو واضحا أن المجهور مجهور أصلا والمهموس مهموس أصلا، كما يقتضيه النطق الفصيح للأصوات المحفوظة تواترا ومن خلال النص القرآني ..

إنّ الإخفاء الذي تحدث عنه سيبويه وجاراه فيه على ما رأى منه ابن جني، الإخفاء قياسا إلى ما ورد في أحكام النون الساكنة إنما هو التستر، أي النطق بالحرف بين صفتين[24]، وها هنا الإخفاء إنما هو بين الجهر والهمس لغرض هو التبيّن بين شيئين أساسيين هما النفس والصوت، والدليل على ذلك قول ابن جني " فأما حروف الهمس فإن الصوت الذي يخرج معها نفس وليس من صوت الصدر، وإنما يخرج منسلا (خفية)، وليس

كنفخ الزاي والظاء والذال والضاد والراء شبيهة بالضاد "[25]، وأمر كهذا يقودنا إلى الحديث عن الحامل والمحمول فالحامل نفس والمحمول صوت، ولا يصح صوت بدون نفس، لأنه من الحكمة يكاد أن يكون الصوت مع لفظ هواء الزفير، فتتنزل بذلك صفة الهمس بمكانة الأصلية في الصفات، والجهر بالفرعية لأن الجهر لا يتحقق في الجهاز النطقي إلا بعد تشبّع ما قبل الوترين الصوتيين بالنفس ،فيهتزان بقوة[26]، بمعنى أنه قبل أن يظهر الصوت كان خفيا، والنفس أخفى في السمع وأضعف من الصوت[27]، والذي ذهبت إليه أفهام بعض الباحثين من أمثال أحمد بن مصطفى (968ه)، والمعروف بـ طاش كبري زاده " أن النفس الخارج الذي هو وظيفة حرف إن تكيّف كله بكيفية الصوت حتى يحصل صوت قوي كان مجهورا، وإن بقي بعضه بلا صوت يجري مع الحرف كان الصوت مهموسا"[28]، وهذه قراءة تستوضح بعض الجوانب من قول سيبويه الذي استشفّ منه إبراهيم أنيس أمرين :

1- أولهما إشباع الاعتماد.

2- منع النفس أن يجري معه حتى ينقضي الاعتماد عليه .

فالأوّل قوة الوضوح السمعي، وأما الثاني فلا معنى له سوى عملية إصدار الصوت التي تلازم النفس، أما الأمر الثاني، فهو استشعار سيبويه باقتراب الوترين الصوتيين أحدهما من الآخر مما يضطر هواء النفس إلى الاندفاع من بينهما في قوة تحرك الوترين وتجعلهما يتذبذبان حتى ينقضي الاعتماد أي حتى تنتهي العملية العضوية[29] .

2 .**تعليل الصفات الثانوية**(الشدة والرخاوة والتوسط):

وللحروف انقسام آخر إلى الشدة والرخاوة وما بينهما، فالشدة يجمعها قولك"أجدت طبقك"و"أجدك طبقت"[30]، والحروف التي بين الشديدة والرخوة ثمانية أيضا وهي:"لم يروّعنا"، وما سوى هذه الحروف والتي قبلها رخوة، وأشار إلى الشّدة بقوله" ومعنى الشديد أنه الحرف الذي يمنع الصوت أن يجري فيه ألا ترى أنك لو قلت الحقّ والشّط، ثم رمت مدّ صوتك في القاف والطاء لكان ذلك ممتنعا"[31] ،ثم يعرّف الرّخو فيقول:"هو الذي يجري فيه الصوت ألا ترى أنك لو قلت المسّ والرشّ والشّح ونحو ذلك فتمدّ الصوت جاريا مع السّين والشّين والحاء"[32]، وتسمى الأصوات الشديدة حديثا بالانفجارية أو الوقفية أو الانسدادية، لأن أهم مرحلة في تكوينها الغلق اللحظي لممر الهواء[33]، لكن السؤال المطروح ما هي المواضع التي يتم فيها الوقف أو الحبس التام؟وطرح السؤال هذا جاء نتيجة لخلفية قد تحدث بعض الخلط حين لا نراعي الدّقة في المصطلح لأن الشديد يمنع الصوت و المجهور يمنع النفس .

يجدر أن نذكر ها هنا أن مصطلح الشّدة مأخوذ من استعمال (الشَدّ) ،بمعنى ربط فم الكيس أو الوعاء حتى لا يخرج منه شيء[34]،وليست مأخوذة من الشّدة بمعنى القوة ".والحبس يكون باعتراض اللسان مجرى النفس في نقطة المخرج اعتراضا محكما"[35] ،أما تعريفه للرخاوة فهو كذلك لا يخلو من إيمائه إلى علة الرخاوة و هي جريان الصوت، أو ما يصطلح عليه حديثا بالاحتكاك إذ علمنا أن الأصوات الرخوة الهواء عند

النطق بها لا ينحبس سواء أكان مع النفس الجاري صوت أي زمير أو لا"[36]، ويكون مصحوبا بتضييق عند المخرج، فيحدث ما يشبه الصفير (الاحتكاك)[37]، وبذلك يقع التمايز بين الأصوات المتقابلة جهرا وهمسا.

لقد خصّ الجهر(بمنع النفس أن يجري معه)، والهمس (بجري النفس معه)، فميز ابن جني وسيبويه من قبله الشّدة بـ (بمنع الصوت أن يجري فيه)، والرّخوة هي التي (أجريتَ الصوت فيها)، وبذلك يقع التمايز بين منع النفس الذي لا يكون إلا في الحنجرة ومنع الصوت مكانه مخرج الحرف[38].

وتأنف الهمزة و تظلّ عصية على التصنيف بين الجهر والهمس والشّدة والرّخاوة بين المحدثين إضافة إلى الأصوات: القاف ،والجيم، والضاد، والطاء.

الهمـــــزة:

أخرجها إبراهيم أنيس من تعداد الأصوات الشديدة عمدا، بدعوى أنها رغم شيوعها في العربية لم يرمز لها الرسم العربي القديم برمز خاص ككل الأصوات الساكنة، ولتصرف القدماء فيها بالتخفيف والإبدال والنقل والحذف والتسهيل كتبت بحسب ذلك[39]، وبالإضافة إلى الاختلاف حول شدتها، اختلف أيضا حول جهرها وهمسها، ونرجح أن تكون مجهورة شديدة للأسباب التالية :

. الشدة ضرورية لتحقيق الهمزة لأنها الأبعد مخرجا ،ولأن الشدة تعني حبس النفس .

. لأنها نبرة تخرج باجتهاد على حدّ زعم سيبويه و ابن جنّي.

. الجهر مطلوب لتحقيق الأثر السمعي للهمزة لأنها أبعد الأصوات و مفتاح الأصوات كلّها .

على أن تظل الهمزة المخففة تختلف عن المسهلة والمبدلة والتي بين بين بدرجة العصر (عصر الزمير)أقل من عصر المحققة [40].

ويبقى الاختلاف قائما في الجيم والقاف والضاد والطاء، وقد أشرنا إليه في مستهل المبحث السابق، حيث أن هذه الأصوات تلبي في أدائها شروط القدماء لما توفر لديهم من أدوات الذوق والحّس المرهف ،وللمحدثين فيما توفر إليهم من أدوات التّسجيل الحاسوبي والتصوير الطيفي للأصوات، ذاك أن التنوعات اللّهجية والاجتهادات الفردية لم تكن القالب الذي صبّ فيه القدامى دراستهم- رغم درايتهم بها- بل كانت جلّ عنايتهم موجهة إلى أصل الحروف العربية .

3 ـ تعليل الصفات التمييـــزية:

الإطباق والانفتاح: فالمطبقة أربعة وهي الضاد، الطاء، الصاد والظاء وما سوى ذلك فمفتوح غير مطبق"[41]، فالإطباق هو انحصار الصوت الصامت بين اللسان والحنك الأعلى حتى يلتصق به مما يؤدي إلى حبسه يصاحبه إخراج الأصوات في مخرج آخر غير الطبق"[42]، وهذه قيمة صوتية تمتاز بها هذه الأصوات، حيث يذكر سيبويه أن للأصوات المطبقة موضعين من اللسان وبين ذلك بحصر الصوت فيقول: "فهذه الأربعة لها موضعان من اللسان"[43]، وأشار ابن جني إلى قيمة الإطباق الدلالية فقال: " ولولا الإطباق لصارت الطاء دالا والصاد سينا والظاء ذالا، ولخرجت الضاد عن الكلام لأنه ليس من موضعها شيء غيرها فيزول الضاد إذا عدمتَ الإطباق إليه" [44]، و من النص تظهر التقابلات الثنائية التالية:

- طاء (مفخم) ⇦ دال (مرقق)

- صاد (مفخم) ⇦ سين (مرقق)

- ظاء (مفخم) ⇦ ذ ال (مرقق)

ومما سبق ينتج لنا أن المقابل المرقق للطاء هو الدال وليس التاء كما في عربيتنا المعاصرة، ويرجع بعض الباحثين[45] السبب في ذلك إلى أنهم كانوا ينطقون الطاء مجهورا، أي كما ينطق القراء الضاد في أيامنا هذه، بمعنى أنه لم يكن لديهم مقابل مرقق للضاد، في حين أن المقابل المرقق للضاد في عربيتنا المعاصرة هو الدال، ومن هذه التقابلات[46] مثلا:

ضرب ← درب	ضلال ← دلال	ضل ← دل
صار ← سار	مسير ← مصير	سلب ← صلب
طين ← تين	طل ← تل	طرف ← ترف

وعكس الإطباق الانفتاح، ويكون بانفراج ظهر اللسان عند النطق بالصوت وعدم إطباقه على الحنك الأعلى[47]، ويمكن القول في الأخير أن الإطباق صفة نطقية مسؤول عنها اللسان بالدرجة الأولى، وبحسب أقسامه المعروفة(طرف، مقدمة، مؤخرة) ،والحركة الجامعة لهذه الأصوات هي حركة مؤخرة اللسان باتجاه الحنك الأعلى (الطبق) ينتج عنه تكوين الصوت برنين خاص[48].

تعليـــل الاستعـــلاء والانخفـــاض:"والمستعلية سبعة، وهي الخاء و الغين والقاف والضاد والطاء والصاد والظاء ،وما عدا هذه الحروف فمنخفض"[49]، ثم يضيف أمّا الاستعلاء فأن تتصعد في الحنك الأعلى"[50]، فالحروف المستعلية ليست على درجة واحدة من الاستعلاء "، والاستعلاء و الاستفال صفتان متعلقتان بالعضو (اللسان) ، وليس بالصوت" [51] الأمر الذي يحيل إلى منع الإمالة، بدليل ما أورده سيبويه حين قال في باب ما يمتنع من الإمالة من الألفات:"فالحروف التي تمنعها الإمالة هذه السبعة"[52] معللا ذلك بـ"أن الألف إذا خرجت من موضعها استعلت إلى الحنك الأعلى ...، فلما كانت الحروف مستعلية وكانت الألف تستعلي وقربت من الألف كان العمل من وجه واحد أخفّ عليهم"[53]،وبهذا يكون الأداء الأخف على اللسان الانتقال من الاستعلاء إلى الاستفال، و ليس العكس وبهذا يكون للاستعلاء درجات وللانخفاض درجات، و هو ما نوضحه بالمخطط التالي:

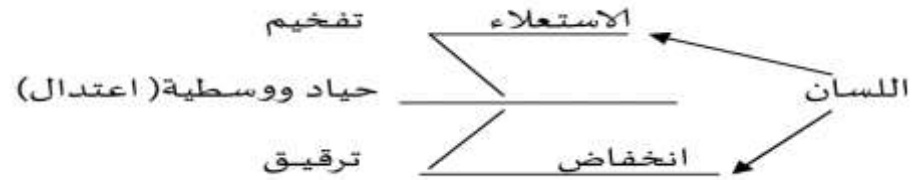

تعليـل القلقـــة:

قلقل الشيء قلقلة "أي ،حركه فتحرك واضطرب"[54]،و"التقلقل قلة الثّبوت في مكان"[55]، والقلقلة عند ابن جني هي"حروف مشربة تحفز في الوقف وتضغط عن مواضعها "[56]، وهي المجموعة في قولنا (قطب جد)، لأننا لا نستطيع الوقوف عليها إلا بصوت، وذلك لشدّة الحفز والضغط"[57].

يضيف "ومن المشربة حروف يخرج معها عند الوقوف عليها نحو النّفخ إلا أنها لم تضغط ضغط الأول، وهي الزاي الظاء والذال والضاد، وبعض العرب أشّد تصويتا"[58]، يظهر من خلال النصين أننا أمام مصطلحين قلقلة و إشراب ،حيث الإشراب كمفهوم عام تنضوي تحته القلقلة، الإشراب الجزئي في(ز،ظ،ذ،ض)، ولقد لمسنا هذه النظرة لدى بعض المعاصرين [59]في التفريق بين الإشراب والقلقلة، حيث المشرب لا يضغط عليه ولا حفز فيه، بينما المقلقل فيه ضغط وحفز ،وهي أيضا نظرة ابن جني حين عرض للإشراب، فقد أشار للفرق الحاصل في الحفز مقارنا ذلك بالحفز الحاصل في حروف القلقلة وكذا الحروف المشربة (ز،ظ ،ذ ،ض) ،ولم يغفل الحديث عن النفس الخارج حتى مع حروف الهمس بدليل"وأمّا حروف الهمس فإن الصوت الذي يخرج معها نفس، وليس صوت الصدر، وإنما يخرج منسلا، وليس كنفخ الزاي ،والظاء والراء شبيهة بالضاد"[60]، فابن جني قد تدرج في تعليل الحفز من أعلى درجة مع الحروف المقلقلة، حيث الحفز والضغط أكبر، ثم المشربة و التي يرافقها عند الوقف عليها النفخ ،وليس كضغط الأولى، ثم المهموسة ومعها نفس منسل ،وليس من صوت الصدر ، وبهدي ما تقدم يمكن أن نعطي تحليلا صوتيا لما يجري مع أصوات القلقة .

إذا كان للصوت اللغوي شِقّان، شِقّ نفسي فيزيائي وآخر فيزيولوجي عضوي[61]، فالفيزيائي مقاييس ومقادير، وعلى هذا يكون الصوت اللغوي الإنساني ليس موضوعاً فيزيائياً صرفاً، لأنها تتحكم فيه عوامل غير فيزيائية اجتماعية ونفسية وثقافية وتجريدية و تجريبية[62]، فإذا أسقطنا هذا الحديث على القلقة أمكن القول: إن الجانب المتحكم في التعديل هو الجانب العضوي الفيزيولوجي، وذلك لأن التحكم في الأعضاء (اللسان،الشفتين)متاح أما بصمة الصوت النفَسية فيبدو لي أنه يغلب عليها الطابع الفطري، أو هو استعداد معين ينطلق منه المؤدي غريزيا في أدائه الصوتي، بمعنى أن المؤدي وهذه الحال لا يتمتع بصرف الرصيد الهوائي كله حالة تأدية هذه الأصوات، حيث حالة الوقف المطلوبة في تأدية الصوت بأقل مما هو مرصود له في الرئتين، خاصة إذا علمنا أن المؤدي حين يمارس الوقف فلهذا الوقف دلالة تجديد الرصيد الهوائي حتى يسترسل المتكلم أو القارئ، وهذا يحيل إلى القول :إنه عند الوقف يكون هناك باقي هواء في الرئتين، وهناك أيضا هواء بين الرئتين والحنجرة وبين منطقة مؤخرة اللسان التي تمارس التضييق وحبس الصوت وموضع اللسان أو الشفتين، وفي تأدية أصوات القلقة وقفاً تبقى كمية تناسب طبقة الأداء لتلك الأصوات، ومن ثم يمكن التثبت من أن حدود الصُّويت الخارج لا يتعدى الرصيد الهوائي الذي يشغل منطقة الفم ،في حين يتسلل ما بقي من الهواء مع أول لحظة استرخاء لأعضاء النطق[63].

ويبدو أن هذا التلاقي للصوت الوقفي حتى أتبع بصُويت مرده إلى وجود وقفين، وقف تتطلبه أصوات القلقة، ووقف آخر يصاحبه يلائم نهاية الكلام [64]، وبهذا يكون المتكلم أمام وقفين متقاربين، إلى حد تسلب فيه خاصية الانفجارية من الأصوات المقلقة، وينتج عنه هذا الصويت الذي يؤشر على شدة تلك الأصوات، فربما

قاربت هذه النظرة ما كان يشير إليه ابن جني متدرجا في علة الحفز والضغط حتى يقول"ومن الحروف مالا تسمع بعده شيئا مما ذكرنا، لأنه لم يضغط، ولم يجد منفذاً وهي الهمزة و العين و الغين واللام والنون والميم"[65]، وهذا حالة الوقف، أما حالة الوصل فيزول ذلك الصويت ،فيثبت أن القلقلة هي النطق بالحرف دون أن يصاحبه شائبة حركة من الحركات الثلاث، أي دون تباعد للفكين ولا انضمام للشفتين ولا انخفاض للفك السفلي[66]، وهذه وظيفة أو فضيلة أدائية تحسب للساكن .

لقد عيّن الأوائل مخارج الحروف تعيينا يعسر علينا التعديل فيه، اللهم إلاّ على وجه الاختصار،وذلك بعد إنعام النظر،لأن الصواب أن نراعي مرادهم من المصطلح الذي وافقناهم معنى ولفظا .

تعليـل الإذلاق و الإصمـــات:

لقّبت العرب مجموعة من الحروف بحروف الذلاقة نظراً لخفّتها وسهولتها وهي ستة"اللام والراء والنون والفاء والباء والميم لأنه يُعتمد عليها بذلق اللسان وهو صدره وطرفه "[67]، و ما عداها فالمصمتة، وعليه فأصل ذلاقة هذه الحروف هو العضو (اللسان والشفتين) ، وليس الصوت[68]، وهناك من يرى من المحدثين[69] أن الإذلاق و الإصمات صفتان من علم الصرف، ولا متعلق لهما بتجويد الحروف، بحيث يستعملها العرب لمعرفة الكلمة عربية الأصل أم معرّبة.

تعليـل الانحـــراف:

يقول ابن جنّي في حقّها: " ومن الحروف حرف منحرف، لأن اللسان ينحرف فيه مع الصوت، ويتجافى ناحيتا مستدقّ اللسان عن اعتراضهما على الصوت"[70]، ويكون نتيجة لهذا الاعتراض"خروج الصوت من تينك الناحيتين، ومما فويقهما وهو اللام"[71]، ومن هنا فأصل الانحراف هو اللسان وليس الصوت[72]، بدليل علة الاعتراض أي أن شيئا يعترض شيئا ،فالمعتَرض هو اللسان و المتعرَض له هو الصوت، لكن هذه الصفة انتقلت وحلّت في الصوت فوصف بها، ويؤيد هذا أيضا قول سيبويه عن المنحرف بأنه"حرف شديد جرى فيه الصوت لانحراف اللسان مع الصوت[73].

ويحدد سيبويه موضع خروج الصوت فيقول:"وليس يخرج الصوت من موضع اللام، ولكن من ناحيتي مستدق اللسان فويق ذلك [74]، ورغم أن ابن جني يجاري سيبويه في أغلب ما جاء به، إلا أن سيبويه ينسب هذه الصفة إلى الراء أيضا فيقول:"ومن مخرج النون غير أنه أدخل في ظهر اللسان قليلا لانحرافه إلى اللام مخرج الراء [75]، غير أن انحراف الراء عكس انحراف اللام، حيث مع الراء ينحرف الصوت من جانبي طرف اللسان إلى وسطه ،أما اللام فانحرافه إلى جانبي طرفي اللسان[76] .

تعليل التكرار:

" ومنها المكرر وهو الراء وذلك أنك إذا وقفت عليه رأيت طرف اللسان يتعثر بما فيه من التكرير ولذلك احتسب في الإمالة بحرفين "[77].

تخرج الراء كما تخرج اللام، إلا أن الفارق أن طرف اللسان مع الراء لا يثبت كما يثبت مع اللام، والتنبيه الحاصل حول ارتعاد اللسان مع الراء وارد بوضوح ،خصوصا في الأداءات القرائية القرآنية ، فهي حرف

مكرر باصطلاح سيبويه وابن جني، وحرف مرتعد، أو حرف مرفرف باصطلاح المحدثين[78]،و إنما يوحي الارتعاد بضرورة مرونة حركة اللسان وخفّته ،ويقرّ سيبويه بعدم" إدغام الراء في اللام، ولا النون لأنها مكررة وهي تفشى إذا كان معها غيرها فكرهوا أن يجحفوا بها ،فتدغم مع ما ليس يتفشى في الفم مثلها ولا يتكرر"[79] ،وهو الذي يذهب إليه ابن جني بعدم إدغامها[80] ،لأن إدغامها يسلبها ما فيها من الوفور بالتكرير على حدّ قوله.

تعليـــل المهتـــــوت:

يقول ابن منظور:"الهتّ شبه العصر للصوت"[81]، ويقول ابن جني "ومن الحروف المهتوت وهو الهاء ،وذلك لما فيه من الضعف والخفاء"[82]، إذن فعلة الهتّ هو الخفاء والضعف وعن الهاء قال الخليل:

"ولولا هتة في الهاء ، و قال مرة هبة لأشبهت الحاء لقرب مخرج الهاء من الحاء"[83]، والمهتوت يختفي فيه النفس ويتراجع"[84]

ذهب أبو الحسن أن الهاء مع الألف في الترتيب لا قبلها ولا بعدها ،وهو الذي ردّه ابن جني بقوله :"إنّك متى حركت الألف اعتمدت بها على أقرب الحروف منها إلى أسفل فقلبتها همزة ، ولو كانت الهاء معها لقلبتها هاء"[85]، وينجم عن علة الضعف والخفاء أن في تأدية صوت الهاء تمر كمية كبيرة من الهواء تؤدي إلى انفتاح الوترين الصوتيين انفراجا تاما.

تعليـــل اللّيـــــن:

من الصفات السابقة ينتج لدينا تمايز المجموعات على النحو الآتي:

- الجهر والهمس باعتبار جري النفس ومنعه.
-الشدّة والرّخاوة(البينية) باعتبار جري الصوت ومنعه.
- اللين باعتبار سعة المخرج الصوتي.
-الهاوي باعتبار أشد درجات الاتساع في المخرج الصوتي.

"والحروف التي اتّسعت مخارجها ثلاثة: الألف ثم الياء ثم الواو ، وأوسعها وألينها الألف"[86]، ثم يضيف ويحدد العلة فيقول:" والعلة في ذلك أنك تجد الفم والحلق في ثلاث الأحوال مختلف الأشكال"[87] ،إذ ينفتح الحلق والفم دون اعتراض مع الألف، ثم تكتنف الأضراس العليا والسفلى جانبي اللسان وتضغطه، ثم ينفرج الحنك عن ظهر اللسان فيجري الصوت متصعّدا هناك محدثا فجوة ،ومن أجل تلك الفجوة ما استطال، وهذا مع الياء، أما الواو فنضم لها معظم الشفتين تاركا بعض الانفراج بينهما ليخرج النفس ويتصل الصوت[88].

فنتج أن أوسع مخرج كان مع الألف، وهو الذي خصّه سيبويه بالهاوي قائلا:"ومنها الهاوي وهو حرف لين اتسع لهواء الصوت مخرجه أشدّ من اتساع مخرج الياء والواو"[89]، ومن المحدثين من يخرج الألف من زمرة اللين، فيقول:"الألف حرف مدّ وليس لين"[90]، لأن اللين صفة تمييزية يختص بها الواو والياء، وقدم أمثلة داعمة لذلك مفرقا بين اللين الخاص بالألف كتسمية تمييزية، وليست اصطلاحية ،وبين اللين كصفة تمييزية للواو والياء[91]، كما تسمى الياء والواو انزلاقيتين وذلك لانزلاق مخرجيهما[92]، والواو والياء تهوي أصواتهما إذا وجدت متسعا حتى ينقطع آخرهما في موضع الهمزة[93]، و زعم الخليل أنهم لذلك قالوا:"ظلموا" و"رموا" فكتبوا بعد الواو

ألفاً، و أن بعضهم يقول:"رأيت رجلأ" فيهمز، و "هذه حُبُلأ"...،فهمز لقرب الألف من الهمزة ،حيث علم أنه سيصير إلى موضع الهمزة "[94].

الخاتمة:

وفي الأخير نخلص إلى جملة من الاستنتاجات نذكرها كما يلي:

-إن الهمزة أو بالأحرى الاستعداد النطقي لها هو أصل الأصوات.

-الحركات جميعها تبدأ بالهمزة وتنتهي إليها.

-لا يمكن البدء بالساكن دون حركة ولا حركة بغير همزة.

-تتميز الهمزة بالتنوع(محقّقة،مسهّلة،مخففة،مبدلة)

- الهمزة أداة تذوّق بواسطتها الخليل الحروف،واختلاف المختلفون حولها عذر لهم لاختلاف أحوالها، ويبدو أنها ستظلّ عصية على الدرسين الصوتيين القديم و الحديث ،وتظلّ مع هذا علّة الغموض في تباين حالها تزيد البحث لذة ما تعاقب الزمن .

هوامش وإحالات المقال

[1] طالع:محمد عابد الجابري، بنية العقل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت ،لبنان،ط1996/5م،ص 153.

[2]طالع :المرجع نفسه،ص166 ـ 167.

[3] رشيد حليم،المنهج اللغوي والبحث اللساني،دار قرطبة للنشر و التوزيع،ط2011/1م،ص 49.

[4] المرجع نفسه،ص50.

[5].طالع :سميرة رفاس، نظرية الأصالة والتفريع الصوتية في الآثار العربية، ص 95

[6].طالع :المرجع نفسه، ص 95

[7].بسناسي سعاد، مكي درار، المقررات الصوتية في البرامج الوزارية للجامعة الجزائرية، ص 77

[8].المرجع نفسه ، ص78.

[9] بسناسي سعاد، مكي درار،المقررات الصوتية في البرامج الوزارية للجامعة الجزائرية، ص78.

[10] ابن جني، سر صناعة الإعراب، ج1/ 75

[11] المرجع نفسه .

[12] ابن عصفور الأشبيلي، شرح جمل الزجاجي، الشرح الكبير،تح :صاحب أبو جنان ، مديرية دار الكتب للطباعة والنشر، جامعة الموصل ،بغداد،د ط،1982،ص448

[13].ابن سنان الخفاجي ،سر الفصاحة ،دار الكتب العلمية ،بيروت ،لبنان،د ط،،1982،ص30

[14] جار الله الزمخشري ، المفصل في علم العربية ،دار الجيل ، بيروت ،لبنان،ط2،د ت،ص 395

[15] ابن يعيش ، شرح المفصل،م س،ج129/10

[16] إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية ، ص 114، 115 .

[17] المرجع نفسه ، ص 114.

[18] المرجع نفسه ،ص115.

[19] المرجع نفسه .

[20] المرجع نفسه ، ص 115و ما بعدها .

[21] إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ،ص115

[22] طالع: سيبويه، الكتاب ، ج574/4

[23] المرجع السابق ، ص 116.

[24] ينظر: زكريا بن محمد الأنصاري، الدقائق المحكمة في شرح المقدمة الجزرية في علم التجويد، ص 89

[25] ابن جني، سر صناعة الإعراب، ج77/1

[26] سميرة رفاس، نظرية الأصالة والتفريغ الصوتية في الآثار العربية، ص 99 .

[27]المرجع نفسه .

[28] شرح المقدمة الجزرية، مخطوطة في مكتب الدراسات العليا في كلية الأدب بجامعة بغداد،نقلا عن المصطلح الصوتي،ص32 نقلا عن نذير بيرى الحساني، التعليل الصوتي عند العرب،ص96

[29] إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية ، ص118

[30].ينظر ابن جني،سر صناعة الإعراب،ج75/1

[31].ينظر ابن جني،سر صناعة الإعراب،ج75/1

[32] المرجع نفسه .

[33].ينظر:برتيل مالبرج،الصوتيات،تر:محمد حلمي هليل، عين الدراسات والبحوث الإنسانية و الاجتماعية،د ط،1994،ص85

[34].ينظر:ابن منظور،لسان العرب(مادة شدد)

[35].محمد حسن حسن جبل، المختصر في أصوات اللغة العربية،ص58

[36].المرجع نفسه .

[37].ينظر:عادل نذير بيرى الحساني ، التعليل الصوتي عند العرب ،ص124

[38].ينظر:إبراهيم أنيس ، الأصوات اللغوية ، ص127

[39].ينظر:المرجع نفسه ، ص72

[40].ينظر :محمد حسن حسين جبل،المختصر في أصوات اللغة العربية ،ص74وما بعدها

[41].ابن جني ،سر صناعة الإعراب ،ج76/1

[42].عصام نور الدين ،علم الأصوات اللغوية (الفونيتيكا)،دار الفكر اللبنانية ،ط1992/1،ص233

[43].سيبويه ،الكتاب،ج204/2

[44].ابن جني،سر صناعة الإعراب،ج76/1

[45].ينظر:سمير شريف .استيتية،علم الأصوات النحوي ،م س،ص185ومابعدها

[46].ينظر:المرجع نفسه ،ص185

[47] نور الدين عصام،علم الأصوات اللغوية (الفونيتيكا)،ص152 **.Aucune source spécifiée dans le document actif**

[48].ينظر: نذير بيرى الحساني، التعليل الصوتي عند العرب ،ص 152

[49].ابن جني، سر صناعة الإعراب،ج76/1

[50] المرجع نفسه .

[51].سميرة رفاس، نظرية الأصالة والتفريع الصوتية في الآثار العربية ، ص105

[52].سيبويه ،الكتاب ،ج244/4

[53].سيبويه،الكتاب ،ج244/4

[54] ابن منظور، لسان العرب ،ج566/11

[55] المرجع نفسه .

[56] ابن جني،سر صناعة الإعراب ،ج77/1

[57] المرجع نفسه .

[58] المرجع نفسه .

[59].سميرة رفاس ، نظرية الأصالة والتفريع الصوتية في الآثار العربية ، ص 104

[60].ابن جني ،سر صناعة الإعراب،ج77/1

[61].ينظر:مكي درار ،بسناسي سعاد، المقررات الصوتية في البرامج الوزارية للجامعة الجزائرية ،ص78

[62].المرجع نفسه .

[63].ينظر: عادل نذير بيرى الحساني ، التعليل الصوتي عند العرب ،ص162و163 بتصرف

[64].ينظر:المرجع نفسه .

[65]ابن جني ،سر صناعة الإعراب ،ج77/1

[66].ينظر:عمر بن أحمد بوسعدة ، الشامل في التجويد ،تقديم :عبد الحليم محمد الهادي قابة ،مراجعة:أيمن رشدي سويد،منشورات ألفا،الدار البيضاء ، الجزائر ، العاصمة،ط3،منقحة و مزيدة ،2014م،ص41

[67] ابن جني ،سر صناعة الإعراب،ج78/1

[68].ينظر: سميرة رفاس، نظرية الأصالة والتفريع الصوتية في الآثار العربية، ص106

[69].ينظر:عمر أحمد بو سعدة ،الشامل في التجويد،ص40

[70].ابن جني،سر صناعة الإعراب ،ج77/1

[71].المرجع نفسه .

[72].ينظر: سميرة رفاس ،نظرية الأصالة والتفريع الصوتية في الآثار العربية ،ص108

[73].سيبويه، الكتاب ،ج574/4

[74].المرجع نفسه .

[75].المرجع نفسه ،ج573/4

[76].ينظر:عمر بن أحمد بوسعدة، الشامل في التجويد،ص43

[77].ابن جني ، سر صناعة الإعراب،ج43/1

[78].ينظر: محمد حسن حسن جبل، المختصر في أصوات اللغة العربية ، ص108

[79].ينظر: سيبويه ، الكتاب،ج285/4

[80].ينظر: ابن جني ،سر صناعة الإعراب،ج205/1

[81].ابن منظور ، لسان العرب ،ج103/2

[82].المرجع السابق ،ج60/1ومابعدها

[83].الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين ، ج3/1

[84].ينظر: سميرة رفاس ، نظرية الأصالة والتفريع الصوتية في الآثار العربية ، ص111

[85].ينظر : ابن جني ، سر صناعة الإعراب،ج60/1

[86].المرجع نفسه ،ج21/1

[87] المرجع نفسه .

[88].ابن جني، سر صناعة الإعراب،ج21/1

[89].ينظر: سيبويه، الكتاب،ج575/4

[90].مكي درار، بسناسي سعاد، المقررات الصوتية في البرامج الوزارية للجامعة الجزائرية ،ص72

[91] ينظر :المرجع نفسه ،ص71

[92].ينظر:تمام حسان، مناهج البحث في اللغة ،ص120

[93].ينظر: سيبويه،الكتاب،ج279/4

[94].المرجع نفسه .

قائمة المصادروالمرجع :

1. إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية،نشر و توزيع، مكتبة الأنجلو المصرية،د ط /2008م
2. ابن جني :سرّ صناعة الإعراب ، تح محمد حسن محمد حسن إسماعيل ، دار الكتب العلمية بيروت لبنان ، ط 2 ، 2008 م
3. ابن سنان الخفاجي ،سر الفصاحة ،دار الكتب العلمية ،بيروت ،لبنان،د ط،،1982.
4. ابن سينا :رسالة أسباب حدوث الحروف ،تح محمد حسان االطيّان ويحي مير علم ، تقديم ومراجعة شاكر الفحام وأحمد راتب النّفاخ ،دار الفكر ، دمشق سورية ، ط 1 /1973 م.

5. ابن عصفور الأشبيلي، شرح جمل الزجاجي، الشرح الكبير،تح :صاحب أبو جنان ، مديرية دار الكتب للطباعة والنشر، جامعة الموصل ،بغداد،د ط،1982.
6. ابن منظور :لسان العرب ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت لبنان ، ط 1/ 2008م .
7. ابن يعيش : شرح المفصل، المطبعة المنيرية، د ط، د ت.
8. برتيل مالبرج،الصوتيات،تر:محمد حلمي هليل، عين الدراسات والبحوث الإنسانية و الاجتماعية،د ط،1994.
9. بسناسي سعاد، مكي درار، المقررات الصوتية في البرامج الوزارية للجامعة الجزائرية دراسة تحليلية تطبيقية ، مكتبية الرشاد للطباعة والنشر والتوزيع ، الجزائر ،ط 2 /2009 م
10. تمام حسان، اللغة العربية معناها و مبناها ، ، دار الثقافة ، الدار البيضاء ، المغرب، د ط /1973 م .
11. جار الله الزمخشري ، المفصل في علم العربية ،دار الجيل ، بيروت ،لبنان،ط2،د ت.
12. الخليل بن أحمد الفراهيدي: كتاب العين ، ترتيب وتحقيق : عبد الحميد هنداوي ، منشورات دار الكتب العلمية ، بيروت، لبنان ط 1، 2003
13. رشيد حليم،المنهج اللغوي والبحث اللساني،دار قرطبة للنشر و التوزيع،ط2011/1م .
14. كريا بن محمد الأنصاري، الدقائق المحكمة في شرح المقدمة الجزرية في علم التجويد، ضبط و تحقيق زكريا توناني. دار الإمام مالك ، ط 1/ 2011
15. سام بركة، علم الأصوات العام، مركز الإنماء القومي، بيروت ،ط1، 1988م.
16. سمير شريف استيتية: القراءات القرآنية ، منهج لساني معاصر ، عالم الكتب الحديث للنشر و التوزيع ، الأردن ، اربد ، د ط ، 2005 م
17. سيبويه ، الكتاب ، علق عليه ووضع حواشيه وفهارسه ، إميل بديع يعقوب ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط 2 ، 2009 م.
18. عبد الرحمان أيوب ، الكلام إنتاجه وتحليله، جامعة الكويت ،مطبعة ذات السلاسل ، الكويت ،"ط1 ،1984
19. عصام نور الدين ،علم الأصوات اللغوية (الفونيتيكا)،دار الفكر اللبنانية ،ط1992/1،
20. عمر بن أحمد بوسعدة ، الشامل في التجويد ،تقديم :عبد الحليم محمد الهادي قابة ،مراجعة:أيمن رشدي سويد،منشورات ألفا،الدار البيضاء ، الجزائر ، العاصمة،ط3،منقحة و مزيدة ،2014م.
21. محمد حسن حسن جبل، المختصر في أصوات اللغة العربية، مكتبة الآداب علي حسن ، القاهرة،مصر، ط 2012/7 م .
22. محمد عابد الجابري، بنية العقل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت ،لبنان،ط1996/5م .
23. مكي درار، ملامح الدلالة الصوتية في المستويات اللسانية ، دار أم الكتاب للنشر والتوزيع ، مستغانم ، الجزائر،طبعة خاصة،1433ه،2012م
24. نذير بيرى الحساني، التعليل الصوتي عند العرب في ضوء علم الصوت الحديث . ،ديوان الوقف السّنّي، مركز البحوث و الدراسات الإسلامية،ط2009/1م.